المنهجُ القرآنيُّ في تقويمِ السلوكِ الإنسانيِّ

إن هناك تلازماً ضرورياً حتمياً بيْنَ التَّدَيُّنِ الصحيحِ والخُلُقِ القويمِ ، فقد حدّد النبيُّ ﷺ الغايةَ الأُولَى مِنْ بعثته ، والمنهجَ الأوَّلَ لدعوته ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ »[1] ، فالهدفُ الأولُ لدعوته ، هو إرساء البناءِ الأخلاقيِّ للفردِ والمجتمعِ ، لأنّ هذا البناءَ الأخلاقيَّ ثمنُ سعادةِ الدنيا والآخرةِ ، والمُتَتَبِّعُ لنصوصِ القرآنِ الكريمِ ، ولنصوصِ السنةِ المُطهرةِ الصحيحةِ يَجِدُ ذلك التلازمَ الضروريَّ بيْنَ التديُّنِ الصحيحِ وَالخُلُقِ القويمِ ، وأَعْنِي بالتديُّن الصحيحِ الاتباعَ ، قال تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ [الماعون : ١-٢] ، وقال سبحانه :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص : ٥٠] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِلاَّ قَالَ : « لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ »[2] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٩٣٩) ، والحاكم (٢/ ٦٧٠) ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٢) .

(٢) أخرجه أحمد (١٢٤٠٦) .

وقال ﷺ : « الإيمَانُ وَالْحَيَاءُ قُرِنَا جَمِيعاً ، فَإذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ »[١] .

الإيمانُ أساسُ الفضائلِ ، ولِجَامُ الرذائل ، وقِوامُ الضمائرِ ، وقد بَيَّن النَّبيُّ ﷺ في أحاديثه الصحيحةِ أنّ أَحْسَنَ الناسِ إسلاماً أحسنُهم خُلُقاً ، وأنَّ أكملَهم إيماناً أحسنُهم خُلُقاً ، وأنّ مِن أَحَبِّ عباد الله إلى الله أحسنَهم خُلُقاً ، وأنّ مِن أقربِ المؤمنين مجلساً إلى رسول الله ﷺ يومَ القيامةِ أحسنَهم خُلُقاً ، وأنَّ خيرَ ما أُعْطِيَ الإنسانُ خُلقٌ حَسَنٌ ، وأنّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقه درجةَ الصائمِ القائمِ ، بل إنَّ العبدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِه عظيمَ درجاتِ الآخرة ، والخُلُقُ الحسَنُ يُذِيبُ الخطايا كما يُذيبُ الماءُ الجَليدَ ، والخُلُقُ السيِّىءُ يُفْسِدُ العملَ كما يُفْسدُ الخلُّ العسَلَ .

هذه سنَّتُه ﷺ القوليةُ ، فماذا عن سنته العملية ؟

إنّ النبيَّ ﷺ هو النموذجُ الأسمى لاجتماعِ المبدإ والسلوكِ ، وتطابقِ المعتَقَدِ مع القولِ ، وتطابُقِ القولِ مع العملِ ، فإنّ أعظمَ المسلمين منه قرباً ﷺ أولئك الذين ضاقتِ المسافةُ بين سلوكهم ومبادئِ الإسلامِ ، وقِيَمِهِ ، وتشريعاته ، وآدابه .

أما هذا التردِّي الأخلاقيُّ الذي تُعَانِي منه المجتمعاتُ المعاصرةُ لم يكن جديداً في تاريخِ البشريةِ ، فالتاريخُ يُعيدُ نفْسَه ، وإِلَيْكُم الدليل .

لقد ذَكَرَ اللهُ لنا في القرآنِ الكريمِ قَصصَ شعوبٍ كثيرةٍ في الماضي

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢١٣) ، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٤٤٥) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤٠) .

الغابرِ ، مُشابِهةً للعديدِ مِنْ شعوبِ اليومَ ، وأخبرَ القرآنُ عن تخلُّفِها الأخلاقيّ ، ولكنّه أَشَادَ بِعَظَمَةِ عِمارَتها للأرض ، فمِن تلك الشعوب قومُ عادٍ .

قال الله تعالى مشيراً إلى عظمة عمْرانهم ، وقوّتهم المادية :

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾

[الشعراء : ١٢٨ـ١٢٩]

أما عن قوَّتِهم العسكريةِ والقتاليةِ فقال :

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء : ١٣٠] .

وتحدث القرآن عن غطرستهم فقال تعالى :

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾

[فصلت : ١٥]

وقد أَشَارَ القرآنُ الكريمُ إلى تَفَوُّقِ عادٍ في شتَّى الميادينِ ، فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر : ٦ـ٨] .

وكذلك ثمودُ سبقُوا الناسَ في خَرْقِ الجبالِ ، وجَوْبِها ، ونَحْتِ المساكنِ وتجميلِها ، وبناءِ القصورِ في السهولِ ، قال تعالى :

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾ [الفجر : ٩] ، وقال سبحانه :

﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الشعراء : ١٤٩] ، وقال :

﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [الأعراف : ٧٤] .

وقد وَصَفُ القرآنُ الكريمُ قومَيْ عادٍ وثمودَ بالذكاءِ ، والفهمِ ، والاستبصارِ ، فقال تعالى :

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [العنكبوت : ٣٨] .

وقد ذكَر القرآنُ بشكلٍ عامٍّ عظمةَ العديدِ مِنَ الشعوبِ السالفةِ والماضيةِ في العمرانِ والقوةِ ، فقال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ [الروم : ٩] .

وعلى النقيضِ مِن ذلك نَجِدُ أنّ تلك الشعوبَ السالفةَ كانت منحطّةً أخلاقياً ، ساقطةً دينياً ، أو ببساطةٍ بالغةٍ ، كانت مُفْسِدةً للأرضِ وللناسِ ، مُهلكةً للبلادِ والعبادِ ، فمثلاً ، قال تعالى عن عادٍ وثمودَ وفرعونَ :

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الفجر : ١١ـ ١٢] ، وعن قومِ نوحٍ أنّهم كانوا أطغى مِن عادٍ وثمودَ :

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النجم : ٥٢] ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن عاداً وثمودَ ومَن لَحِقَهُم كانوا طغاةً ومجرمين ، بغَضِّ النظرِ عن تفوُّقِهم العمرانيِّ أو الحربيِّ .

إذاً ليس هناك علاقةٌ بين التفوُّقِ الدينيِّ والأخلاقي مِن ناحيةٍ ، والتطورِ العمرانيِّ والعسكريِّ مِن ناحيةٍ أخرى .

فكم مِن شعوبٍ بلغتْ الذروةَ في البناءِ ، والتعميرِ ، والقوةِ

العسكريةِ ، ولكنها تسفّلتْ في الدينِ والأخلاقِ أيَما تسفّل ، ثم سقطتْ حضارتُها العمرانيةُ العظيمةُ مُنهارةً إلى الأبدِ بسببِ فسادِها ، ومَن يقرأُ ما سَطَّروا لا يجد أحداً منهم يذكرُ اللهَ إلا قليلاً ، أمّا أصنامُهم ، وآلهتهم فلا تكاد تُحصَى .

ولكن قد يَسألُ سائلٌ : ما الفائدةُ مِن تلك القصصِ ؟ فتلك شعوبٌ قديمةٌ هَلَكَتْ وانتَهَتْ ، نقول : مَن لا يفهم الماضي فلن يفهمَ الحاضرَ ، ومَن لا يعتبر مِن أخطاءِ غيرِه فلا بدّ أنْ يقعَ فيها .

وقَصصُ القرآنِ الكريمِ عن الشعوبِ القديمةِ ليست عبثاً ، فما دام اللهُ جلَّ جلاله قد ذَكَرَ تلك الأقوامَ القديمةَ في قرآنٍ يُتلَى إلى يومِ القيامةِ فلا بد مِن فائدةٍ عظيمةٍ ، قال تعالى :

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١] .

فهذا الذِّكْرُ من أَجْلِ ألاّ تنبهرَ الشعوبُ الضعيفةُ اليومَ بالغربِ ، بقوته العسكريةِ ، ومنشآتِه العمرانيةِ ، وتقدُّمِه الخطيرِ في شتى الميادين ، لئلا تراهُ مارداً ، قوياً ، جباراً يفعلُ ما يريدُ .

ولكن أليستْ هذه الأممُ أمثال عادٍ وثمودَ تأكلُ حقوقَ الأممِ مِن خلال هيئةِ الأممِ ؟ أليستْ هذه الأممُ أمثالُ عاد وثمود تَسلبُ أَمْنَ الشعوبِ مِن خلالِ مجلسِ الأمنِ ؟ أليست هذه الأممُ المسيطرةُ أمثالُ عادٍ وثمودَ تبني مجدَها على أنقاضِ الشعوبِ ؟ أليست هذه الأممُ المسيطرةُ أمثالُ عادٍ وثمودَ تبني غناها على إفقارِ الآخرين ؟ لقد طغتْ ، وبغتْ ، تغطرستْ ، ونسيتْ وعيدَ الله لها ، قال تعالى متوعِّداً إيَّاهم ومِثلَهم :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] ، وقال :

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران : ١٩٦ـ١٩٧] .

لقد قالوا : ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ ، وكذلك تقولُ بعضُ الدولِ العظمى ، أو بعضُ الدولِ التي تعتمدُ على دولٍ عُظمَى ، واللهُ يقولُ لهؤلاءِ جميعاً ، قدماءَ ومُحْدَثين :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : ١٥] .

لو كنا نقرأُ القرآنَ كلّ يوم لَعَلِمْنَا أنَّ شعوباً كثيرةً كعادٍ وثمودَ وغيرِها قد تفوّقتْ في عمرانِ الأرضِ كما يتفوّق الغربُ اليومَ ، ولكنها ضلّتْ ، وأَضَلَّتْ ، وفَسَدَتْ ، وأفسدَتْ ، وَطَغَتْ ، وَبَغَتْ وشَرَدَتْ عن عبادةِ خالقها ، وانحطّتْ أخلاقُها .

إنّ الإسلامَ ليس ضدّ العلمِ والعملِ ، بل يأمرُ بهما ، ولكنّه ضدّ الكفرِ وعبادةِ الطواغيتِ ، والعلوِّ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ، والفسادِ والظلمِ ، وأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ ، وإهلاكِ الحرثِ والنسلِ .

ولكن ماذا كانتْ نتيجةُ عادٍ وثمودَ ؟ وهي النتيجةُ التي تنتظرُ كلَّ قومٍ كعادٍ وثمودَ ، قال تعالى :

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة : ٥ـ٨] ، وقال سبحانه :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس : ٢٤] .

وكمثلٍ معاصرٍ مِن عاد وثمودَ ، هذا الكيانُ الصهيوني الذي سَلَبَ أرضَ شعبٍ ، ونَهَبَ ثرواته ، وانتَهَكَ حُرُماتِه ، ودنّس مقدّساتِه ، وداس كرامتَه ، وقهر إرادتَه ، وأفْسَدَ عقائِدَه ، وفرّغ قيمَه ، وزوّر تاريخَه ، وحَمَلَهُ على الفسادِ والإفسادِ ، ومَارَسَ عليه ألوانَ التجهيلِ ، والتجويعِ ، والتعذيبِ .

ثم إنّ تصاعدَ العدوانِ الوحشيِّ من قِبَلِ القيادةِ المجرمةِ للكيانِ الصهيونيِّ على الشعبِ الفلسطيني ، والأمةِ العربيةِ ، وعلى مواقِعِنا في لبنانَ ، يدفع المنطقةَ إلى حافَةِ الحرب وأُتُونِها ، فهل يُعقَل أن تُسْتَخْدَمَ أحدثُ الطائراتِ المقاتلةِ العملاقةِ لقصفِ شعبٍ أعزلَ ، لا يملك إلا الحجارة ؟! لقد وَصَفَ أحدُ الصحفيين أحدَ الطغاةِ المجرمين بأنه ثورٌ هائِجٌ ، مُصابٌ بجُنونِ البقرِ .

لقد شرَّف اللهُ الأمةَ العربية ببعثةِ النبيِّ الأعظمِ ﷺ ، فاستجابتْ لله وللرسول حينما دعاها لما يُحْيِيها ، وجعلت الوحيَ مَرجعاً لمعتقدها ، والشريعةَ الغراءَ منهجاً لحياتِها ، والقيم الخلقية التي جاء بها القرآنُ هدفاً لطموحاتها ، عندئذ أنجزَ اللهُ لها وَعْدَه بالنصرِ والتأييدِ والاستخلافِ والتمكينِ ، فامتَدَّتِ الدولةُ الإسلاميةُ التي عاصمتُها دمشقُ ، من الصينِ إلى إسبانيا ، تنشرُ تعاليمَ الإسلامِ المستندةَ إلى مبادئِ التسامحِ والعدلِ والإخاءِ والمساواةِ .

إذا أردنا أنْ نستعيدَ دورَنا القياديَّ في العالم ، وأنْ ننقل إلى الشعوب رسالةَ الإسلام الخالدةَ فعلينا أنْ نستجيبَ لله وللرسولِ إذا دَعَانا لِمَا يحيينا ، وأنْ نجعلَ الوحيَ مرجعاً لمنطلقاتنا النظريةِ ، والشريعةَ الغراءَ منهجاً لسلوكنا العملي ، عندئذ يتحقَّق وعدُ الله لنا بالاستخلافِ ، والتمكينِ في الأرضِ .

* * *

أثَرُ القرآنِ في تقويمِ سلوكِ النباتِ

إذا كان أثرُ القرآنِ في تقويمِ سلوكِ الإنسانِ ظاهراً للعيان فإنّ أثرَ القرآنِ في تقويمِ سلوكِ النباتِ مِن أكبرِ المعجزاتِ ، فهذا باحثٌ عربيٌّ عُرِف بإنتاجِهِ العلميِّ الغزيرِ على المستويين العربي والدوليِّ ، وهو أستاذٌ جامعيٌّ ، له وزنُه ، اختصاصُه في علمِ فَزْلجةِ النبات ، وقد اشتهر بتجاربه العلمية الرائدة ، فمِن تجارِبِه التي ربما لا تُصَدَّق ، إلاَّ أنّ الواقعَ أثبتها ، أنه في عام (١٩٩٧ م) نَصَبَ أربعةَ بيوتِ مَحْمِيةٍ في حديقةِ كُلِّيةِ العلوم في جامعته ، وزرَعَ فيها قمحاً مِن نوعٍ مُعَيَّن ، هذه البيوتُ مُوحّدَةٌ بحجمِها ، مَلأَها بكمياتٍ متساويةٍ نوعاً وكمًّا مِنَ التراب الزراعي ، وغَرَسَ فيها عدداً موحداً مِن بذورِ الحِنطةِ على عمقٍ واحدٍ ، وتمّ تسميدُها جميعاً بكمياتٍ متساويةٍ مِنْ سَمادٍ معيَّن ، وسمّى اسمَه ، وسُقِيتْ جميعاً بِذاتِ العددِ مِنَ السقيا ، وبكميات متساوية من الماء ، ثم اختار إحدى طالباتِه لتقرأَ السورَ القرآنيةَ التاليةَ : يس ، والفاتحة ، والإخلاص ، وآية الكرسي ، مرتين في الأسبوعِ على البيتِ الأولِ ، ولمدّةِ أربعةِ أشهرٍ ،

وكلّفَ طالبةً أنْ تأتيَ بنَباتٍ ، وأنْ تمزّقه ، وأنْ تقطعَ أوصالَه ، وأنْ تُسمعَه كلماتٍ قاسيةً أمامَ نباتِ البيتِ الثاني ، مرتين في الأسبوع ، ولمدةِ أربعة أشهر ، وفي البيت الثالثِ كلّفَ طالبةً ثالثةً بِضَرْبِ النباتِ وكيِّه ، وتعريضِ وُرَيْقاتِه للتمزيقِ والقصِّ مرتين في الأسبوع ، ولمدةِ أربعةِ أشهرٍ .

فثمة بيتٌ قُرِئَ على نباتِه سورٌ مِنَ القرآنِ ، وبيتٌ عُذِّب أمامه نباتٌ ، وبيتٌ ثالثٌ تَلقّى نباتُه التعذيبَ ، والبيت الرابع تُرِك لينموَ نمواً طبيعياً ، وأطلقَ عليه اسمَ البيت الضابِط ، فماذا كانت النتيجةُ ، وقد عُرِضتْ في مؤتمرٍ علميٍّ ؟ كانت النتيجةُ أنّ نباتَ البيتِ الأولِ الذي تُلِيَ عليه القرآنُ الكريمُ ازدادَ طولُه أربعةً وأربعينَ بالمئة على طُولِ نباتِ البيتِ الرابعِ الضابطِ ، وازدادتْ غلّتُه مئة وأربعين بالمئةِ على غلّة البيتِ الرابعِ الضابطِ ، أمّا البيتُ الثاني والثالثُ الذي تحّمل أحدهما التعذيبَ ، أو رأى التعذيبَ فقد تدنّى طولُ نباتاتِه خمسةً وثلاثين بالمئة نقصاً ، ونزل إنتاجُه إلى ثمانين بالمئة نقصاً أيضاً .

يقول هذا الباحثُ : النباتاتُ كمخلوقاتِ الله الأخرى تشعرُ ، وتسمعُ ، وتستجيبُ سلباً أو إيجاباً لِمَا حولَها مِن مؤثّراتٍ خارجيةٍ .

والآن إلى القرآنِ الكريمِ . . . قال تعالى :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٤] ، وقال تعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ ـ فكيف لو كان على نبات حيٍّ ـ

﴿ لَرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر : ٢١] ، وقال سبحانه تعالى :

﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ٦ـ٧] .

فإذا كان هذا شأنَ النباتِ مع القرآنِ الكريمِ ، فهل يُعقَل أنْ يَغفلَ الإنسانُ وهو المخلوقُ المكرَّمُ ، والمعنيُّ الأولُ مِنْ هذا القرآنِ ، هل يُعقَلُ أنْ يَغفلَ عن هذا القرآنِ الذي يهدِي للتي هي أَقْوَم ، حتّى يَصدُقَ على المسلمين قولُه تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] .

* * *